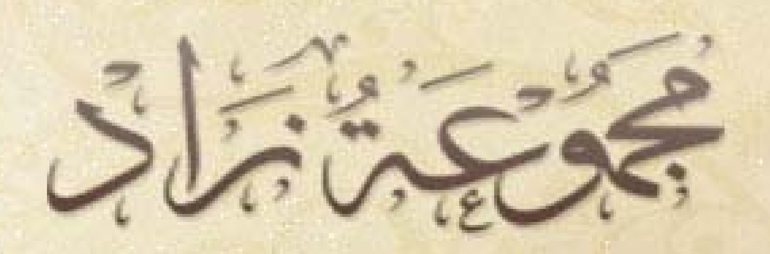
مشروعك الذي يلائمك

محمد صالح المنجد

مصدر هذه المادة :







مقدمـــة

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرســـلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان سدى؛ بـــل خلقـــه لحكمة عظيمة وحجَّة بالغة؛ وهي القيام له بحقِّ العبوديَّة التَّامَّـــة في الأرض؛ ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**﴾: سدى وباطلا تـــأكلون وتشربون وتمرحون وتتمتَّعون بلذَّات الدنيا، ونترككم؛ لا نأمركم ولا ننهاكم ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؛ ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـــاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّـــا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون: ١١٥- ١١٦]؛ تعاظَمَ عـــن هذا الظَّنِّ الباطل الذي يرجع إلى القدح في حكمته[١]:

قـــد هَيَّـــؤوك لأمـــر لـــو فطنـــت لـــه
فاربـــأ بنفســـك أن ترعـــى مـــع الهمـــل

والمسلم في هذه الدنيا له هدف وغاية يسعى لتحقيقها؛ تـــدور كلُّها في فلك عبادة الله، والعبادة لا تَقتصر على الشَّعائر التَّعبُّديَّة من صلاة وصوم وزكاة فحسب؛ بل تشمل كلَّ قول وعمل صالح نافع يقوم به الإنسان في هذه الحياة الدُّنيا ابتغاءَ وجـــه الله؛ ﴿**قُـــلْ إِنَّ**

(١) تفسير ابن سعدي (٥٦٠).

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعــام: ١٦٢]؛ وسواء كان هذا العمل من أمور الآخرة أو من أمور الدنيا فالمسلم لا يتوقَّفُ عن العمل إلى آخر رمق في حياته.

فما مشروعُك في الحياة؟ وكيف تختاره؟ وما الأسس التي يقوم عليها؟

هذا ما سنتناوله في هذا الكتيِّب، ونسأل الله تعــالى أن يجعــل الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خير.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية وجود مشروع في حياة الإنسان

كان السَّلَفُ الصَّالِح- رحمهم الله- يَذُمُّون الرَّجلَ يمضي حياتَه سبهللاً بلا هدف ولا غاية ولا عمل؛ عن ابن مسعود- رضـــي الله عنه- قال: "إنِّي لأمقت أن أرى الرجلَ فارغاً، لا عمل دنيـــا، ولا آخرة"[١]. وهذا الأثر مشهورٌ على الألسنة عن عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه بلفظ: "إنِّي لأكره أن أرى أحدَكم ســـبهللاً؛ لا في عمل دنيا، ولا في عمل آخره"[٢].

قال السَّفارينيُّ- رحمه الله: (سبهللاً) أي غير مكترث بذهابه؛ لا في عمل دنيا ولا آخرة؛ كما قال في القاموس: ويمشي سبهللاً إذا جاء وذهب في غير شيء[٣]؛ فالرجل السَّبهللُ لا هو أخـــذ بعلـــم فأصاب منه حظًّا، ولا هو أتقن عملاً فنال منه كســـباً، ولا هـــو اشتغل بعبادة فزكَّى بها نفسَه وطهَّر قلبَه، ولا هو كدح في الـــدُّنيا فعفَّ نفسَه، وعال أهلَه!!

يأخذ الأمور سبهللاً، وتمرُّ عليه الأوقات أو السنوات أو الفرص دون أن يفكِّرَ فيها كيف يغتنمها؟ أو كيف يصنع بها؟

فلابد لكلِّ مسلم أن يكون له مشروعٌ أو أكثر في هذه الحياة؛

(١) رواه الطبراني (٩/١٠٣).
(٢) قال الزيلعي: لم أجده إلا من قول ابن مسعود، تخريج أحاديث الكشاف (٢/٣٥٣).
(٣) القاموس المحيط: فصل السين، ولسان العرب (١١/٢٢٤) مادة: سبهل.

لأنَّ الإنسانَ مسؤولٌ عن شبابه فيما أمضاه في هذه الدُّنيا؛ عن ابن مسعود- رضي الله عنه- عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم**»[(١)].

والأفرادُ يُقاسون بالمنجزات لا بالأعمار؛ ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ [يس: ١٢]: ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا**﴾: أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياهم من خير وشر، ﴿**وَآَثَارَهُمْ**﴾: آثار الخير وآثار الشَّرِّ التي كانوا هم السَّبب في إيجادها في حال حياهم وبعد وفاهم، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم[(٢)].

نسبُ ابن آدم فعلُه فانظر لنفسك في النسب

ماذا أضفتَ لهذه الدُّنيا؟ ماذا فعلت؟ ماذا قدَّمتَ؟

لابدَّ لأيِّ إنسان أن يكون له أثرٌ يتركه من بعده، وعمر الإنسان لا يقاس بالسِّنين التي يعيشها؛ فكثير من الناس عمَّرَ الكثير وخرج من الدُّنيا ولا أثر، والبعض عاش قليلا وترك الكثير الذي ما زال الناس يذكرونه به؛ كم عاش الإمام الشَّافعيُّ- رحمه الله- وكم ترك؟!

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٦) وصححه الألباني.

(٢) تفسير السعدي (٦٩٢).

كم عاش الإمام النَّوَويُّ- رحمه الله! وكم ترك؟! عاش الشَّيخ حافظ أحمد حكمي رحمه الله! وكم ترك؟! وغيرهم كثير.

لذلك لابدَّ أن يكون لكلِّ شاب أهدافٌ يسعى لتحقيقها ومشروعات يقوم بها للوصول إلى هذه الأهداف.

ومن لم يرسم لنفسه هدفاً فإنَّه يعيش عيشة عشوائية، يتخبط شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ولا يهتدي لشيء، ومن لم يعرف أين يتجه فلن يصل.

يقول علي بن أبي طالب- رضي الله عنه: قيمة كل امرئ ما يحسنه[١].

والعارفون يقولون: قيمة كل امرئ ما يطلب[٢]؛ ولذلك كانت أصدق الأسماء: «حارث وهمام»[٣].

(١) مفردات ألفاظ القرآن (٢٣٦/١).
(٢) الجواب الصحيح (٣٢٩/٦).
(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٨١٤)، وصححه الألباني.

ما الحلمُ الذي تَوَدُّ تحقيقَه؟

اجتمع في الحجر بالمسجد الحرام عبد الله، ومصعب، وعروة، بنو الزُّبير بن العوام، وابن عمر، فقال: تمنُّوا. فقال عبد الله: أتمنى الخلافة، وقال عروة: أتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أتمنى إمرة العراق، والجمع بين عائشة بنت طلحة، وسكينة بنت الحسين.

فقال ابن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة.

فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر قد غفر له[1].

وإذا النفوس كن كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ولابد للشاب أن تكون نفسه توَّاقةً تسعى للمعالي؛ قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (إنَّ نفسي توَّاقة، وإنها لم تعط من الدُّنيا شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، فلما أعطيت ما لا أفضل منه في الدنيا [الخلافة] تاقت إلى ما هو أفضل منه [يعني: الجنة])[2]، وقال: (يا رجاء، إنَّ لي نفساً توَّاقةً تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، وتاقت إلى الإمارة فوليتها، وتاقت إلى الخلافة فأدركتها، وقد تاقت إلى الجنة فأرجو أن أدركها إن شاء الله عز وجل)[3].

وعن الحسين بن علي- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤١/٤).
(٢) المرجع السابق (١٣٤/٥).
(٣) وفيات الأعيان (٣٠١/٢).

ﷺ: «**إن الله يحبُّ معالي الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها**»(١).

التقى شقيق بن إبراهيم البلخيّ الزّاهد– أحد شيوخ التَّصَوُّف– بإبراهيم بن أدهم فقال له إبراهيم بن أدهم: ما بدء أمرك الذي بلغك إلى هذا؟ أي ما هو الحديث الذي جعلك مُعرضاً عن الدُّنيا تاركاً التَّكَسُّبَ فيها؟ فذكر أنَّه رأى في بعض الفلوات طيراً مكسور الجناحين أتاه طائر صحيح الجناح بجرادة في منقاره، قال: فتركت التَّكَسُّبَ فاشتغلتُ بالعبادة.

فقال إبراهيم: و لم لا تكون أنت الطائر الصَّحيح الذي أطعم العليلَ حتى تكون أفضل منه؟ أما سمعت قول النبي ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»(٢)– ومن علامة المؤمن: أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلِّها حتى يبلغَ منازلَ الأبرار– فأخذ شقيق يدَ إبراهيم فقبَّلها وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق(٣).

المسلم لا يقنع حتى يبلغ من أعماله غايتَها وأعلاها؛ فإن كان طالباً لم يقنع إلا التَّفَوُّقَ، وإن كان أباً لم يقصِّر في تربية أبنائه وبناته؛ ليكونوا قدوات في الخير؛ ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٤]، انظر الطموح: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر**

(١) رواه الطبراني (١٣١/٣) وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري (١٤٢٨).
(٣) فوات الوفيات (١٠٦/٢).

أنهار الجنة»[١].

فلا قيمة لمن اتَّكَلَ على غيره ونظر إلى الأسفل على الدوام لا يتطلع إلى شيء، ولا يستشرف إلى علو، ولا يرجو من نفسه رقيًّا، وظل واقفاً لا يدرك من سبقه، ولا يأمل اللِّحاقَ به أصلاً.

شباب خنع لا خير فيهم ... وبورك في الشباب الطامحين

الناس خمسه، فأيهم تكون؟!

الناس خمسة إذا حسبتهم ... ففارس يوم الوغى ذو درقة[٢]

يجول في ميدانها مبارزاً ... إذا رأى صفَّ القتال خرقة

ومحسن ينفق جوداً ماله ... جميعه ذهبه وورقة[٣]

وعالم يدرس في كتابه ... يسرده ورقة فورقة

وحاكم أقام فينا عدله ... في قلبه للعالمين شفقة

وعابد يقوم في جنح الدجى ... يشكو الجوى[٤] من النوى[٥]

فهؤلاء خيرهم وغيرهم ... لا لحم فيهمو وليسوا مرقة

بل همج من همج متى مشوا ... يضيقوا على التَّقيِّ طرقة

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«تجدون النَّاسَ كابل مائة؛ لا تكاد تجد فيها راحلة»**[٦].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) درقة: الترس.

(٣) الورق: الفضة.

(٤) الجوى: شدة الوجد.

(٥) النوى: البعد.

(٦) رواه مسلم (٢٥٤٧).

ومعنى الحديث أنَّ المرضيَّ الأحوال من الناس الكاملَ الأوصاف قليل فيهم كقلَّة الراحلة في الإبل[1].

لولا المشقَّة ساد الناس كلهم　　　الجود يفقر والإقدام قتال

ومما ينشط النفس لأن يكون لها مشروع: النظر في أحوال كبار السن الذين انتهت حياتهم دون أن يكون لهم تأثير يبقى سوى عدة أبناء أنجبوهم وتركوهم؛ فمن يتأمل في حال بعض كبار السن الذين لم يعد لهم فائدة، بل أصبحوا ثقلاً على أبنائهم لأنهم لم يحرصوا على أن تكون لهم مشروعات أخرويَّة ودنيوية متعدية النفع؛ ممَّا جعلهم يشعرون بانتهاء دورهم في الحياة بمجرَّد تزويج آخر الأولاد؛ فالشَّابُّ الذي يتأمَّل بنظر حكيم لمثل هؤلاء الناس سيعلم أنَّه إن لم يجعل له مشروعاً طموحاً في هذه الدُّنيا يقودُه إلى خير الدُّنيا والآخرة فإنَّه سيصل إلى حالة يشعر فيها بأنَّه كائن لا جدوى منه ولا فائدةَ فيه.

إذا كنت لا تُرجَى لدفع ملمَّة　　　ولا كان للمعروف عندك
ولا كنت ذا جاه يعاش بجاهه　　　ولا أنت يوم الحشر فيمن يشفع
فعيشك في الدنيا وموتك واحد　　　وعود خلال عن وصالك أنفع

---

(١) تحفة الأحوذي (٨/١٤١).

المشروعات كثيرة ومتنوعة

من سنن الله في خلقه أن قسم بينهم مواهبهم وملكاتهم كما قسم أرزاقهم وطبائعهم وأخلاقهم، وفاوت بين عقولهم وفهومهم كما فاوت بين ألسنتهم وألوانهم؛ ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**﴾ [الروم: ٢٢]، وهذا الاختلاف والتِّبيان موجود في الأمور الدِّينيَّة والدُّنيويَّة؛ ففي الأمور الدِّينية نجد مَن فتح له في باب الصلاة، ومن فتح له في باب الصدقة، ومن فتح له في باب الصيام، ومن فتح له في القرآن وإقرائه، ومن هو من أهل التوحيد والحديث والفقه والتفسير.

ومنهم من يُفْتَحُ له في مساعدة المحتاجين وإغاثة الملهوفين، وتفريج الكروب وسدِّ الدُّيون وكفالة الأيتام ورعايتهم ومواساتهم وتعليمهم والمحافظة عليهم؛ فهو في عمل متواصل.

ومنهم من يفتح له في باب الشَّفاعة والإصلاح بين الناس؛ فيفكَّ أسيراً، ويحقن دما، ويدفع مكروها، ويحق حقا، ويمنع باطلا، ويرفع ظلما.

وفي الأمور الدُّنيويَّة نجد من فتح عليه في الطِّب، أو الهندسة، أو التجارة، أو في مجال التقنية، أو التسويق.. وهكذا.

البعض عنده مشروع زواج لإعفاف نفسه.. ومشروع الحصول على الدكتوراة!.. ومشروع بناء بيت!.. وشراء سيارة!..

وعمل في شركة!.. وافتتاح مؤسَّسة خيريـــة!.. وعمـــل موقـــع دعوي!.. وتعلم لغة!..

والمشروعات منها مشروعات طويلة لا يمكن تحقيقها إلا بعـــد فترة زمنية طويلة تستغرق سنوات؛ مثل: الدراسات العليا، وتكوين أسرة صالحة وعمل مؤسَّسي دعوي.

وهناك مشروعات قصيرة تتراوح فترتُها الزَّمنيَّةُ بين السَّـــنة إلى السَّنتين؛ مثل: مشروع حفظ القرآن الكـــريم، وتعلـــم اللغـــات والحاسب الآلي، والمشاركة في الأعمال التَّطَوُّعيَّـــة، وفي الأنشـــطة الدَّعوية؛ إما بتعليق إعلانات لمحاضرة، أو توزيع شريط أو كتيِّب أو مطويَّة، أو إقامة ملتقيات وندوات، أو مساعدة الجمعيَّات الخيرية في مشروعاتهم الخيرية؛ كتفطير صائم، وتوزيع مـــوادَّ عينيَّـــة علـــى المحتاجين والأسر الفقيرة، وكفالة الأيتام... وغيرها.

والمشروعات منها ما هو رئيسي يحتاج إلى تركيـــز ووقـــت، ومنها ما هو فرعي.

وهناك مشروعات مستغرقة تأخذ وقـــت الإنســـان كـــاملاً، ومشروعات يمكن الجمع بينها.

هناك مشروعات فرديَّة ومشروعات جماعيـــة، والمشـــروعات الجماعية أنجح وأنفع وأكثر احتمالاً للنَّجاح؛ فالمشروعات كـــثيرة؛ فهناك مشروعات دعوية، علمية، اجتماعية، تجارية، إعلامية.

فالدَّعوية كالدعوة عبر التَّجمعات الأسرية الشهرية، أو شـــراء

مجموعة من المطويَّات وتوزيعها على الورش والمصانع والشَّركات.. والتَّوعية في المستشفيات والمراكز الصِّحِّيَّة، وتفعيل لوحة الفتاوى والتَّوجيهات الإرشاديَّة، والمغلَّفات الدَّعويَّة، ورسائل البريد الإلكتروني، ورسائل الجوَّال الدَّعوية، والنشر الإلكترونيّ في المنتديات.

والمشروعات العلمية كترجمة بعض المقالات التي تفيد المسلمين من العلوم الطبية أو الإنسانية أو الإدارية، والقراءة المثمرة، وإعداد الدراسات والأبحاث، والكتابة، وحفظ بعض الأحاديث، وتعلُّم دراسات معينة كاللغات، والحاسب الآلي، والإنترنت، والدراسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ثم ممارسة وإتقان ما يمكن إتقانه من كل ذلك.

والمشروعات العبادية: كورد بشر بن الحارث كان ثلث القرآن، وعروة بن الزبير كان يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرا، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، والإمام أحمد بن حنبل كان يقرأ كل يوم سبعاً، فيختم كلَّ سبع ليال ختمة.

والمشروعات الاجتماعية: كالزواج، وزيارة المرضى في المستشفيات ومساعدتهم، وكفالة الأسر الفقيرة: وقد كان علي بن الحسين– زين العابدين رحمه الله- يحمل الطعام بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظُّلمة، وكان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل، ولما مات وجدوا بظهره أثراً ممَّا

كان ينقل الجرب بالليل منازل الأرامل[1].

والمشروعات التِّجارية: مثل البدء بمتجر صغير؛ فهذا رجل افتتح متجراً صغيراً لقطع غيار وزينة السيارات، أصبح فيما بعد شركة لها إحدى وثلاثون فرعاً في أقل من عشرين عاماً، حجم محفظتها الاستثمارية مئات الملايين من الدُّولارات وربَّما المليارات.

وكثير من الأعمال الضخمة والشركات الكبيرة كانت يوما ما مشروعا صغيرا: كمحرك البحث "جوجل" وكحمل للصرافة بدء صغيرا ثم أصبح مصرفا كبيراً ومطعم صغير صار سلسلة مطاعم... وغيرها.

والمشروعات التَّطَوُّرِيَّة كتعلم مهنة أو حرفة أو صنعة أو صيانة.

والمشروعات الإعلامية كإنشاء قناة فضائية، أو موقع الكتروني، أو مجلة هادفة.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٩٣/٤).

كلُّ شاب قادر على القيام بمشروع

لا يخلو مسلم من وجود نقطة تميزه ونواحي إبداع تبرزه؛ فلابد من إخراجها؛ لينتفع بها المسلمون؛ ذلك أنَّ الذي يعيش لنفسه يعيش صغيراً بسيطاً، وكذلك يموت، والذي يعيش لأمَّته يعيش كبيراً عظيماً؛ وكذلك يموت إن شاء الله.

ومن لم تتبلور عنده خصالُ التَّمَيُّز أو نقاط القوة، فليعمل على تَلَمُّسها وصَقلها وتنميتها، ولا يتصور أن هنالك أحداً يخلو من موهبة معيَّنة، أو طاقة ينفرد بها.

إنَّ كلَّ شخص على وجه هذه البسيطة يملك القدرةَ ليكون شخصاً مبدعاً موهوباً؛ أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- يقود جيشاً عرمرماً، وفيه كبارُ الصَّحابة، وكان لا يتجاوز عمرُه حينها العشرين عاما[1].

وابنا عفراء– معاذ ومعوذ رضي الله عنهما: يتصدَّيان لقتل فرعون هذه الأمَّة أبا جهل.. فيبتدراه بسيفيهما فيضرباه حتى يقتلاه[2].

وابنُ عبَّاس- رضي الله عنهما- ترجمان القرآن: كان مرجعيَّةً علميَّةً وآيةً في الفهم والحفظ على صغر سنِّه.

(١) البداية والنهاية (٦/٢٠٤).

(٢) رواه البخاري (٤٠٢٠) ومسلم (١٨٠٠).

قال الشَّافعيُّ- رحمه الله: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين[١].

كثير من الناس لا يعرف ما عنده من نعمة الله عز وجل عليه؛ فإن قلتَ له: ضع مشروعاً لتحفظ شيئاً من القرآن، أو شيئاً من العلم، قال: أنا ذاكرتي ضعيفة وإمكانياتي العقلية محدودة، ولا أستطيع أن أحفظ؛ وذلك لأنَّه لم يبدأ بشيء من خطوات هذا المشروع، ولو فعل لاكتشف في نفسه ما كان جاهلا به.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/٧).

كيفيَّةُ اكتشاف المواهب وتوجيهها

يمكن اكتشافُ موهبة الطِّفل وقدراته من خــلال ميولــه في الألعاب؛ فهناك ألعاب ميكانيكيَّة، وألعاب رسم وتلوين، وألعــاب فكّ وتركيب، وغير ذلك من الألعاب.

قال ابنُ القيِّم- رحمه الله: وممَّا ينبغي أن يعتمد حال الصَّبيّ وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها... فلا يحمله على غيره.. فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه، وفاته ما هــو مهيأ له.

فإذا رآه حسن الفهم، صحيح الإدراك، جيد الحفظ، واعيــا- فهذه من علامات قبوله وتهيُّئه للعلم، فلينقشه في لوح قلبه مــا دام خالياً؛ فإنَّه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه.

وإن رآه بخلاف ذلك من كلِّ وجه وهو مســتعد للفروســية وأسبابها من الرُّكوب والرَّمي واللَّعب بالرُّمح، وأنه لا نفاذ لــه في العلم، ولم يخلق له، مكِّنه من أسباب الفروسية والتَّمَرُّن عليها؛ فإنَّه أنفعُ له وللمسلمين.

وإن رآه بخلاف ذلك وأنَّه لم يُخلق لذلك ورأى عينَه مفتوحةً إلى صنعة من الصَّنائع مستعدًّا لها قابلاً لها وهي صناعة مباحة نافعة للناس، فليمكِّنه منها[1].

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (٢٤٣-٢٤٤).

وعلماء المسلمين كانوا يقومون باكتشاف المواهب والطَّاقات؛ فالنَّبيُّ ﷺ كان إذا لفت نظرَه شخصٌ بقدرة معيَّنة وظَّفَها مباشرةً، فسمع صوت أبي محذورة- رضي الله عنه- وكان في جاهليَّته قبل أن يسلم مغنياً قال له: «**اذهب فأذِّن عند البيت الحرام**»[١].

ونظر سفيان الثَّوريُّ إلى عيني وكيع بن الجرَّاح وقال: (ترون هذا الرُّؤاسيّ؛ لا يموت حتى يكون له شأن)[٢]، وتفرَّسَ الإمام أبو حنيفة في أبي يوسف ومالك؛ تَفَرَّسَ في الشَّافعي؛ قال الشافعي: فلما سمع كلامي نظر إليَّ ساعة، وكان لمالك فراسة، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: محمد. فقال لي: يا محمد اتَّق الله واجتنب المعاصي؛ فإنَّه سيكون لك شأن من الشأن[٣].

وجدتُ طفلاً عمره خمس سنوات أَتَمَّ حفظَ القرآن، فاختبرتُه، فإذا هو يَعرف مواضعَ الآيات في المصحف، فسألت أباه عن كيفية حفظه، فذكر أنَّه لما بلغ الابن السنتين هَيَّأَ له غرفةً صغيرة جمع له فيها كثيراً من الألعاب، وجعل فيها مسجلاً يذيع القرآن باستمرار، حتى تخطَّى الابنُ الثالثةَ من عمره بدأ في تحفيظه القرآن، فحفظ الابن القرآن وعمره خمس سنوات.

لا شكَّ أنَّ الناسَ قدرات، وأن هذا الطِّفلَ عنده ذاكرة قويَّة تهيِّئه للحفظ؛ لكن بدون التَّربية والتَّخطيط والمتابعة ووضع الخطَّة لن

(١) رواه النسائي (٦٣٣)، وصححه الألباني.
(٢) تاريخ دمشق (٦٢/٦٩).
(٣) المرجع السابق (٥١/٢٨٦).

يحفظ؛ حتى لو كان نابغةً في الحفظ، ولو أنَّ شخصاً إذا دعي إلى الحفظ يقول أنا ذاكرتي ضعيفة وإمكانياتي العقلية محدودة، وأنا لا أستطيع. فإنَّه لن يستطيع؛ فلابدَّ من نقطة البداية.

وبعض الناس يضع عقبات أو يتصوَّر ويتوهَّم وجود عقبات، وأحيانا تكون صغيرة وهو يضخمها، وأحيانا تكون موجودة لكن لا يريد أن يتخطَّاها؛ فنقول لمثل هذا: لو كان عندك مشروع انقله لغيرك إذا كنتَ لا تستطيعه؛ ألم يقل النَّبيُّ ﷺ في الأعمال الفاضلة: «**تعين صانعا أو تصنع لأخرق**»[1]؛ تعين صانعاً يستطيع العمل فتساعده، أو تصنع لأخرق لا يحسن وهو عاجز، فتصنع له.

---

(١) رواه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤).

الأُسُسُ التي يقوم عليها المشروع

المشروعات تقوم على أسس، من أهمها:

أولاً: تحديد المشروع:

اختيار المناسب من المشاريع عملية دقيقة تحتـــاج إلى تأمُّـــل، وسؤال أهل الخبرة؛

فما الأفضل من المشروعات؟

وما الممكن منها؟

وما الذي تحتاج إليه الأمة من المشاريع؟

أسئلة مهمة يتحتَّم على صاحب المشروع أن يجيبَ عليها قبل البدء في مشروعه.

ثانياً: الإعداد والتَّخطيط للمشروع:

هذه المرحلة يتمُّ فيها وضع الإطار العام والخطـــوات اللازمـــة للمشروع، وأهدافه، وأهميته، والإنتاج المتوقَّع له، وخطَّة العمـــل، والإمكانات اللازمة له.

ثالثا: تنفيذُ المشروع:

بعد تحديد المشروع والانتهاء من التَّخطيط له يكون البـــدء في تنفيذه؛ وهذه من أهم المراحل.

رابعا: تقييم المشروع:

قد يتعرض المشروعُ لمؤثِّرات خارجية، وقد يحصل عليه تطويرٌ أثناء التَّنفيذ وبعد التنفيذ؛ فلابدَّ من مقارنة النَّتائج النِّهائية بما كــــان قبل ذلك؛ حتى تعرفَ هل نجح المشروع أو لم ينجح.

كيف تبدأ مشروعك؟

تحديد المشروع قد يأتي عن طريق التَّأَمُّل والتَّفَكُّر والنَّظَر، وقد يكون بمشورة أو اقتراح؛ قال الإمامُ البخاريُّ- رحمه الله: (كنتُ عند إسحاق بن راهويه، فقال بعض أصحابنا: لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنن النَّبيِّ ﷺ. فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب)[١].

كتاب "الرسالة" للشافعي رحمه الله؛ صنَّفه بناء على طلب من عبد الرحمن بن مهدي.

كتاب "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" للشَّوكانيّ رحمه الله؛ ألَّفه بسبب مشورة من شيخه.

وقد يكون سبب تحديد المشروع كلمةً يسمعها: مثل الإمام الذهبيّ- رحمه الله- الذي صار من أئمَّة الحديث؛ يقول عن شيخه علم الدِّين البرزالي: وهو الذي حبَّبَ إليَّ طلب الحديث؛ فإنه رأى خطي فقال: خطُّك يشبه خطَّ المحدثين. فأثَّر قولُه فيَّ[٢]، وعن محمد بن عوف أنَّه قال: كنت ألعب بالكرة وأنا حدث، فوقعت الكرة قرب المعافى بن عمران الحمصي، فذهبت لأخذها..

- فقال: ابن مَن أنت؟

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/٤٠١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٣٦).

- قلت: ابن عوف بن سفيان.

- قال: أما إنَّ أباك كان من إخواننا، فكان ممن يكتب معنا الحديث والعلم، والذي كان يشبهك أن تتبع ما كان عليه والدك.

فصرتُ إلى أمِّي، فأخبرتُها، فقالت: صدق؛ هو صديقٌ لأبيك.

فألبستني ثوباً وإزاراً، ثم جئتُ إلى المعافى، ومعي محبرة وورق.

فقال لي: اكتب: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد ربه بن سليمان، قال: كتبت لي أم الدرداء في لوحي: اطلبوا العلم صغاراً، تعملوا به كباراً؛ فإنَّ لكلِّ حاصد ما زرع.

فماذا كانت نتيجة هذا المشروع؟

صار هذا الفتى كما قال عنه الذهبي: (الإمام، الحافظ، المجود، محدث حمص، أو جعفر الطائي الحمصي).

وقال الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله: (ما كان بالشَّام منذ أربعين سنة مثل محمد بن عوف)[1].

وربما تأتي الفكرة ممَّن أقلّ منك شأناً، فلا تحقرنَّ ذلك؛ حتى ولو كان حيواناً أو حشرة:

فهذا سليمان- عليه السلام- استفاد من خبر الهدهد في إقامة مشروع دعوي كبير كانت نتيجته في النهاية أن قالت ملكة سبأ كما حكى القرآن عنها: ﴿**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ**

(١) انظر: المرجع السابق (١٢/٦١٣-٦١٥).

سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وهذا الكسائيُّ من أئمة علم النَّحو المشهورين استفاد من نملة؛ فقد ذكر في ترجمته أنَّه بدأ في طلب علم النحو ثم صعب عليه فهَمَّ بتركه، فاضطجع يوماً فرأى نملةً تحمل طعاماً تريد أن تصعد به حائطاً؛ كلما صعدت قليلاً سقطت، وهكذا حتى صعدت، فأخذ درساً من ذلك، فكابد حتى صار إماماً في النحو.

أو يأتي المشروع من موقف يتعرض له الشخص:

ابن حزم- رحمه الله- الذي أَلَّفَ كتابَ المحلَّى وبرع في تعلُّم الفقه قال عن سبب تعلُّمه الفقه أنَّه شهد جنازةً، فدخل المسجد، فجلس ولم يركع، فقال له رجل: قم فصلِّ تحيةَ المسجد، وكان قد بلغ ستًّا وعشرين سنة.

- قال: فقمت وركعت، فلما رجعنا من الصَّلاة على الجنازة دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقيل لي: اجلس، اجلس؛ ليس ذا وقت صلاة. وكان بعد العصر.

- قال: فانصرفت وقد حزنت، وقلت للأستاذ الذي ربَّاني: دلَّني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون.

قال: فقصدتُه، فأعلمتُه بما جرى، فدَلَّني على موطأ مالك، فبدأت به عليه، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام، وبدأ بالمناظرة[1].

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/١٩٩).

وكذلك سيبويه إمام النَّحو؛ كان إتقانُه لهذا العلم بسبب موقف تعرَّضَ له كان هو نقطة البداية في مشروعه لعلم النحو، وقد كان في ابتداء أمره يصحب أهل الحديث والفقهاء، وكان يستملي على حماد بن سلمة، فلحن يوماً، فردَّ عليه قولَه.

فقال: لأطلبنَّ علماً لا تلحنني فيه أبداً!

فطلب النحوَ ولزم الخليل بن أحمد حتى برع في النَّحو وصار إماماً من أكبر أئمة النَّحو إلى زماننا هذا؛ مع أنَّه عاش اثنين وثلاثين سنة فقط، وقيل: قارب الأربعين[1].

وقد يكون مشروعُك إكمالاً لمشروع بدأه غيرك، وهذا لا ضير فيه؛ بل هو إحسان للغير؛ فمن المشروعات التي تتابع على العمل عليها عدد مشروع جمع القرآن؛ فقد جمعه أبو بكر- رضي الله عنه- ثم جمع عثمان- رضي الله عنه- الناسَ على مصحف واحد.

وابتدأ النَّوويُّ- رحمه الله- في تأليف كتاب "المجموع شرح المهذب"، فسكب فيه علمه، وكان كتابه كما قال ابن كثير: لو قَدَّرَ اللهُ له إتمامَه لكان كتاباً في الأحكام لم يؤلَّف مثلُه. إلا أنَّه توفِّي- رحمه الله- و لم يتمَّه، ووصل إلى باب الرِّبا.

فجاء تقيُّ الدِّين السُّبكيُّ وأكمل ما بدأه النَّوَويُّ من باب الرِّبا إلى التفليس، ثم مرت سنون وقرون حتى جاء الشَّيخ محمد نجيب المطيعيّ- رحمه الله- فَأَتَمَّه.

---

(١) البداية والنهاية (١٠/١٧٦).

تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي؛ ابتدأ تفسيره من أوَّل سورة الكهف إلى آخر سورة النَّاس، ثم ابتدأ بتفسير سورة الفاتحة، وبعد أن أَتَمَّها توفِّيَ- رحمه الله.

ثم جاء جلال الدِّين السُّيوطيّ فأكمل تفسيرَه فابتدأ بتفسير سورة البقرة على نهج جلال الدِّين المحلِّيِّ وانتهى عند آخر سورة الإسراء.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ابتدأه العلامةُ محمد الأمين الشِّنقيطيّ- رحمه الله، وانتهى إلى آخر سورة المجادلة، ثم أكمله تلميذُه الشيخ عطية محمد سالم- رحمه الله.

إكمال فتح القدس: كان الملك نور الدين زنكي- رحمه الله- يرجو أن يكون استنقاذ بيت المقدس من النَّصارى الصَّليبيين على يديه، حتى إنه أعد منبراً عظيماً للمسجد الأقصى إذا فتحه، وبدأ رحلة الجهاد، غير أنَّه مات- رحمه الله- قبل تمامها، حتى كتب الله تعالى استعادة القدس على يدي رجل من أتباعه وهو صلاح الدين الأيوبيّ- رحمه الله.

وقد يشترك أكثر من شخص في العمل على مشروع واحد: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد اشتركا في العمل على جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمهم الله؛ حيث سافر الشَّيخ عبد الرحمن بن قاسم- رحمه الله- مع ابنه لعدد من البلدان (نجد ومكة، والعراق، وسوريا، ولبنان، ومصر، وباريس) لجمع مخطوطات ابن

تيمية- رحمه الله، حتى أخرجا لنا هذا الكتاب العظيم في سبعة وثلاثين مجلَّداً.

وقد يكون المشروعُ معنويًّا لا ماديًّا:

كما في مشروع سلمان الفارسي- رضي الله عنه- في رحلة البحث عن الحقِّ.

وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل الذي رحل إلى الشَّام بحثاً عن الدِّين الحقِّ حتى اهتدى إلى دين إبراهيم الحنيف.

ضوابط وتنبيهات عند اختيار المشروع المناسب

عند اختيار المشروع المناسب لابد من مراعاة ما يلي:

١- لا تغفل الجانب التَّعَبُّديَّ عند اختيارك للمشروع:

فمحورُ حياة المرء كلِّها هو عبادة الله- عز وجل، وبالتالي فالإنسان حين يفكِّر في أي مشروع لابدَّ أن يتذكَّرَ أنَّه عبدٌ لله- عز وجل، وعليه واجبُ تحقيق العبوديَّة.

ومن هنا فلابدَّ لأيِّ مشروع تخطِّطُ له أن تسأل نفسك: هل هذا المشروع سيجعلني أقرب إلى الله- عز وجل- أم أبعد؟

فكما نضع دراسات جدوى اقتصادية ودراسات جدوى فنِّيَّة، ودراسات جدوى اجتماعية للمشروعات التي نفكِّر فيها، فلابدَّ أن نسألَ أنفسَنا أيضاً ما جَدْوَى هذا المشروع الأُخرويّ؟

والعاقل لا يُقْبلُ على ما يضرُّه في الآخرة ويبعده عن الله.

وقد أرشدنا إلى ذلك النَّبيُّ ﷺ حين تكلَّم عن المشروع الذي يفكِّر فيه كلُّ شابٍّ، وهو مشروع الزَّواج! فَبَيَّنَ معاييرَ الاختيار التي يلجأ إليها من يريد النّكاح، فقال ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[1].

(١) البداية والنهاية (١٠/١٧٦).

والبعدُ التَّعَبُّديّ في مشاريعنا نغفل عنه كثيراً؛ لذلك لابــدَّ أن يكون هذا البعدُ حاضراً في أذهاننا عند التَّفكير في المشروع، وعند التفاضل بين المشروعات؛ فجميع مشروعات المسلم الدُّنيويَّــة لهــا بعدُها التَّعبُّديّ؛ فمشروع الزَّواج له بُعدٌ تَعَبُّديٌّ في إعفاف الــنَّفس وعدم الوقوع في الحرام «**وفي بضع أحدكم صدقة**»[1].

ومن يفكر في مشروع اقتصادي؛ كشركة أو مؤسَّسة لتدرّ له ربحاً، ويحصل على الرِّزق الحلال، ولا يأكل الحرام، فهذا جانــب تعبُّديٌّ.

ومن لديه مشروع إعلامي! كعمل صحيفة أو إنشاء قناة، أو موقع إعلامي، وله هدف هو: تعريف الناس بواقعهم، وهدف نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة، فهذا جانب تعبدي.

ومن له مشروع اجتماعي! مثل عمل مؤسَّسة خيريَّة لكفالــة الأيتام، أو عمل منتدى للأسرة، أو عمل مشروع لصالة الأفــراح والمناسبات أو غير ذلك من المشروعات الاجتماعية فهذه لها غايتُها الدِّينيَّة.

إذن كُلُّ مشروعاتنا لها بعدٌ تعبُّديٌّ؛ سواء كانت دينيَّةً محضةً، أو دنيويَّةً؛ فالإنسان كما ذكرنا عبدٌ لله في كلِّ شؤونه.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

٢- مراعاةُ الإمكانات المتاحة والمتوقَّعة ثم تحديد المشـــروع بناءً على مقدارها:

فلا يكون المشروعُ ضخماً بينما الإمكانات المعدَّة له متواضعة جدًّا؛ إذ لابدَّ أن يكون المشروعُ ممكنَ الحصول والتَّحقيق؛ فمـــثلاً: عندما نريد إقامةَ عمل تجاريٍّ يجب أن تنظر كمَّ المال الذي يمكنك توفيره لهذا العمل التِّجاريِّ، ثم حدِّد حجمَ هذا العمل بنـــاء علـــى مقدار هذا المال.

أو عندما تريد البحثَ عن وظيفة فانظر مـــا هـــي الشَّـــهادة الدِّراسية التي تحملها والخبرات العملية التي تتمتع بها، ثم على ضوء ذلك حدِّد نوعيَّة ومرتبةَ الوظيفة التي تسعى لها.

فربَّما تحدِّد لنفسك مثلاً أن تحفظَ كلَّ يوم ربعَ حـــزب مـــن القرآن، وأنت قدرتُك على الحفظ لا تتجاوز أربعة أسطر، أو تحدِّد خطةً وبرنامجاً لعمل عشر رحلات، وأنت لا تملك المالَ الكـــافي إلا لرحلتين فقط!

وفي المقابل يجب الحذرُ من إهدار أو تجميد الموارد والإمكانات المتاحة والانشغال بمشاريع متواضعة جدًّا مع إمكان القيام بـــأكثر منها... كما لو أنَّنا طلبنا من شخص أن يقرأ في كل يوم ربع ساعة فقط؛ فكلا الأمرين– التَّعَلُّق بمشاريع خيالية أو الانشغال بمشـــاريع متواضعة– مَضْيَعَةٌ للوقت وإهدارٌ للطَّاقات.

والمشروع الملائم هو ذلك المشروع الذي يســـتخرج الطَّاقـــةَ

الكامنةَ ويعين على استخدام الموارد المهملة عند الشخص، وتكون ممكنةَ التَّطبيق، وكما قـال ﷺ: «**اكلفـوا مـن الأعمـال مـا تطيقون**»[١]؛ أي تَحَمَّلوا من العمل ما تطيقونـه علـى الـدَّوام والثَّبات؛ لا تفعلونه أحياناً وتتركونه أحياناً[٢].

يُحكَى عن الخليل بن أحمد الفراهيديّ- رحمه الله- أنَّه قـال: كان يتردَّدُ إليَّ شخص يتعلَّم العروض وهو بعيد الفهم، فأقام مـدَّةً ولم يعلق في خاطره شيء منه.

فقلت له يوماً: قَطِّع هذا البيت:

إذا لم تستطع شـيئا فدعـه وجـاوزه إلى مـا تسـتطيع

فشرع معي في تقطيعه على قدر معرفته، ثم نهض ولم يعد يجيء إليّ، فعجبت من فطنته لما قصدته في البيت مع بعد فهمه[٣].

٣- اعرف ما يناسبك من المشروعات:

فالمشروعات متنوعة وكثيرة؛ فخذ ما يناسبك؛ ﴿**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا**﴾ [البقرة: ١٤٨]؛ فتحديد المشروع الذي يناسب ويلائم الشَّـخصَ من أَهَمِّ الأمور لنجاح المشروع بعد النِّيَّة الصَّالحة والاستعانة بـالله تعالى وطلب توفيقه.

(١) رواه مسلم (١٠٠٦).

(٢) حاشية السندي على النسائي (٦٨/٢).

(٣) وفيات الأعيان (٢٤٧/٢-٢٤٨).

ومعرفة الشَّخص لما يصلح له من الأمور المهمة؛ فليس بالضَّرورة أن تكون ماهراً في كلِّ شيء؛ لقد علم يوسف- عليه السلام- من نفسه القدرةَ على الولاية فطلبها؛ ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٥٥]؛ بينما منعها النبيُّ ﷺ أبا ذر- رضي الله عنه.

وهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ يتميَّز بعضهم عن بعض في أشياء متعدِّدة؛ فمنهم من تَمَيَّزَ بالجهاد، ومنهم مَنْ تَمَيَّزَ بالعلم، ومنهم من تَمَيَّزَ ببعض فنون العلم، ومنهم مَنْ تَمَيَّزَ بالبذل والعطاء، وهكذا.

٤- يجب أن يكون المشروعُ الذي تسعى لتحقيقه مناسباً للزَّمن الذي قدَّرتَه لإنجازه:

لأنَّ من أخطر مقاتل المشروعات الجيِّدة عدم وجود الوقت الكافي لإنجازها؛ كمن يريد أن يحصل على الشَّهادة الجامعيَّة في تخصُّص الطِّبِّ مثلا خلال عام واحد بعد تَخَرُّجه من الثَّانوية.

ومن ذلك أيضاً مَن يسرف ويبذِّر في إعطاء الأوقات الواسعة جدًّا للمشروعات التي يمكن إنجازها في أقل من ذلك؛ كمن يمكنه التخرج من الجامعة مثلا خلال أربع سنوات ولكنه يماطل ويسوِّف ويتأخر؛ فلا يحقق هذا المشروع إلا في ثمان سنوات!

وكذلك من يمكث عشر سنوات لتحقيق مشروعه في الزواج.

وليس هناك خسارة أشد من خسارة الوقت؛ وهي خسارة لا يمكن تعويضها، وللزمن قيمة تتضاءل أمامها قيمة المال والدِّرهم

والدينار في نظر أصحاب العقول الرَّاجحة والبصائر النَّافذة.

٥- يجب أن يكون هدف المشروع الذي تسعى لتحقيقه هدفاً مشروعاً:

فالمشروعات الممكنة كثيرة، ولا تضيق الحياة إلا على العاجزين، ولم يعدم يونس- عليه السلام- عملا وهو في بطن الحوت؛ إذ كان من المسبِّحين؛ ولكن من المشروعات ما يجوز أن يتصدَّى الإنسان لتحقيقه وإنجازه، ومنها ما لا يجوز له أن يسعى له أو يفكر فيه؛ فالسَّعيُ لكسب المال وتنمية الثَّروة للتَّمتُّع بطيِّبات الحياة والإنفاق في وجوه البرِّ مشروع ممكن لكلِّ مَن بذل جهدَه في ذلك، ولكن يمكن أن يكون عن طريق مشروع كتجارة، أو زراعة، أو صناعة، ويمكن أن يكون عن طريق الغش، والرِّشوة، والاحتيال، والرِّبا، والمخدِّرات؛ لكن أين الثَّرى من الثُّرَيَّا!

الأولُ جَمَعَ مالَه من الحلال؛ فهو سعادة له في الدنيا، ونجاة له في الآخرة إن أحسن إنفاقَه، والآخرُ جَمَعَه من الحرام فهو شقاءٌ له في الدُّنيا وجحيم وعذابٌ في الآخرة.

ومثال آخر.. من يريد أن ينجح في الدِّراسة بالجدِّ والاجتهاد والمثابرة والاعتماد على النَّفس بعد التَّوَكُّل على الله ودعائه واللُّجوء إليه، وفي مقابله من يريد أن ينجح ولكن بالغشِّ والاحتيال والاعتماد على زملائه.

ومن المشروعات المذمومة ما يخطِّط له البعضُ بأن يكون فنَّاناً،

أو ممثِّلاً، أو مطرباً.

يقول أحدهم: لا أريد من الدُّنيا سوى أن أنال جائزة أفضل موسيقار، ثم أرحل عنها!! هذا جُلُّ هدفه من الحياة؛ يعيش ويموت ليحقِّقَ هذا الهدف ويكمل هذا المشروع.

والمقصودُ أن يكون المشروعُ مندمجاً في الهدف الأسمى والأكبر الذي يحيا المسلم من أجله على هذه الأرض؛ ألا وهو الفوز برضوان الله- تبارك وتعالى.

رجل طَلَبَتْ زوجتُه منه الطَّلاقَ لأنَّ تَخَصُّصَه الدَّقيقَ كان في علم الصَّراصير!! وكان مصرًّا على فتح الموضوع بتفاصيله في كلِّ زيارة عائليَّة يقومان بها؛ فلم تَعُدْ تطيق ذلك.

٦- يجب أن يكون المشروعُ محدَّداً واضحاً:

لا غموض فيه ولا لبس؛ لأنَّ عدمَ تحديد الهدف أو عدمَ وضوحه يجعل الإنسانَ غيرَ قادر على الوصول إلى ما يريد، أو عدم معرفة ما يريد.

يقول أحد الغربيِّين (ريدير كلينج): "عندي ستة من الخدَّام الأوفياء عنهم أخذت كل ما أعلم من العلوم، وهذه أسماؤهم: ماذا؟ لماذا؟ متى؟ كيف؟ أين؟ من؟".

ماذا تريد من هذا المشروع؟

لماذا تريد هذا المشروع؟

متى سيبدأ المشروع؟ ومتى سينتهي؟

كيف؟ الآليات والوسائل لتحقيق المشروع.

أين يُقام هذا المشروع؟

من الذين ستحتاجهم لتستعين بخبراقم؟

وهكذا تكون هذه الأسئلة: ماذا؟ ولماذا؟ ومتى؟ وكيف؟ وأين؟ ومن؟ من الأدوات المهمَّة جدًّا في الوصول إلى النَّتيجة.

فالذي يريد إيجادَ بديل لعمله الوظيفيّ يحتاج أن يخطِّطَ كثيراً وبإتقان، وقد تحتاج المسألةُ إلى قراءة، وسعة اطلاع، وبحث، واستشارة؛ حتَّى يصلَ إلى تحديد واضح لما يريد.

فمثلاً من يريد أن يتخرَّج من الجامعة لكنَّه لم يحدِّد أيّ تخصُّص يريد، ولا في أي جامعة سيدرس، ولا متى سيكون ذلك، فمثل هذا يصعب عليه الوصول؛ لعدم تحديده الهدف.

وكمن يريد إيجادَ بديل لعمله الوظيفيّ ويقف عند هذا فقط، أو يريد السَّفَرَ فقط دون أن يحدِّد وجهتَه أو طبيعةَ العمل الذي يسعى لتحقيقه في سفره.

ربَّما تقول: أريد أن (أقرأ). ولكنَّك لا تحدِّد الكتبَ التي ستقرؤها، أو تقول: أريد أن أعمل أنشطةً اجتماعيةً أو خيريَّةً، ولم تحدِّد هذه الأنشطةَ هل هي الاشتراك في رعاية الأيتام، أم تحفيظ القرآن، أم الجهود الإغاثيَّة، أم غير ذلك.

لابدَّ من وضوح المشروع، وتحديده بدقَّة؛ حتى لا يختلط بغيره ويتعذَّر تحقيقُه والسَّعيُ له، ومن وضوح الهدف أن تتخيَّلَ أكبرَ قدر ممكن من تفاصيله كأنَّه مُنْجَزٌ متحقِّقٌ حاصلٌ بين يديك.

٧- يجب أن يكون المشروع الذي تسعى لتحقيقه محتاجاً إليه، وأولى من غيره:

فقد يكون الإنسانُ يسعى لأهداف تتوفَّر فيها جميع الشُّروط السَّابقة؛ لكنَّه لا يحتاج إليها؛ بل حاجته لمشروعات أخرى أكثر إلحاحاً؛ كمن يريد أن يبني له استراحة يقيم فيها أيامَ أجازته، وهو لم يَبْن منزلاً سكنيًّا يقيم فيه طوالَ العام.

وهناك مشروعات لا فائدة منها ولا ثمرة: كجمع الطَّوابع والعملات مثلاً.

وهناك مشروعات مباحة: ككرة القدم.. وقراءة المجلَّات والدَّوريَّات.. وزيارة الأصدقاء.. والرحلات.. والرَّسم المباح.

وهناك مشروعات مستحبَّة: كتعلُّم السِّباحة والرَّمي وغير ذلك.

وهناك مشروعات واجبة كالزَّواج في بعض الأحيان.

وهكذا فلابد للإنسان من ترتيب أولويَّاته، والاختلال في الأولويَّات يجعله يقدِّم ما حقُّه التَّأخير، ويؤخِّرُ ما حقُّه التَّقديم.

وربما تمادى الحال بمن هذه صفته إلى أن يقضي حياته في توافه

الأمور وصغارها، بينما كان يمكن أن يعمل غير ذلك، ويترك أثــراً بل آثاراً يناله نفعُها وينال غيره في الدنيا والآخرة.

إذا غامرتَ في أمــر مــروم فلا تقنع بمــا دون النجــوم

فالإنسانُ لابُدَّ أن يكون في تحديد مشاريعه والسَّعي لتحقيقهــا صاحبَ طموح ونفس تَوَّاقة لمعالي الأمور؛ فالحياةُ محدودة، والفرص قد لا تتكرر، ومن قضى أوقاته ومضت حياته في الاشتغال بتوافــه الأمور وصغارها عاش في قاعها، و لم يتسنَّ له الرُّقــيّ إلى ذراهــا وقممها.

فمثلاً.. إنسان يتمتَّع بذكاء عال جدًّا، ويتخرَّج من الثانويــة بتقدير ممتاز، ولديه قدرات أن يواصل دراسته حتى يحصــل علــى شهادة الدُّكتوراه؛ لكنَّه يرضى بما تحقق له في الثانوية ويبحث له عن وظيفة محدودة؛ فهو بهذا قد قتل قدراته ووَأَدَ إمكاناته، والسببُ أن أهدافَه متواضعةٌ وطموحه محدودٌ.

٨- من عوامل النجاح في تحقيق المشروعات: أن يكتم أمرها والعمل لتحقيقها عمَّن لا حاجةَ إلى علمه بها:

وكما ورد في الأثر: «**استعينوا علــى قضــاء حــوائجكم بالكتمان**»[1]، ومن عَجَزَ عن حفظ سرِّه فلا يلوم غيره إذا أفشاه، وكم من المشروعات ضاعت وفشل في تحقيقها أو سرقت بســبب إفشاء أسرارها.

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير (١١٨٦).

٩- المبـــادرة:

إن هممتَ فبادر، وإن عزمتَ فثابر، واعلم أنَّه لا يدرك المَفاخرَ مَن رضي بالصَّفِّ الآخر؛ فليبادر المسلم بما يستطيع قبل أن يحـــال بينه وبين ما يشتهي:

إذا كنـــت ذا رأي فكـــن ذا فإن فساد الرأي أن تتـــرددا

وإن كنت ذا عـــزم فأنفـــذه فإن فساد العـــزم أن يتقيـــدا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا: فقرا منسيا، أو غنى مطغيـــا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال فشـــر غائب ينتظر، أو الساعة؟ فالساعة أدهى وأمر**»[1].

فبادر إذا مـــا دام في العمـــر وعدلك مقبول وصرفك قيم

وجد وسارع واغتنم زمـــنَ ففي زمن الإمكـــان تســـعى

بادر؛ إذ ربَّما ذهب الوقتُ المناسبُ لعرضها.

١٠- من شروط تحقيق المشروع وضعُ خطَّة عمليَّة للوصول إليه: فالمشروع مهما كان عظيماً وممكناً ومشروعاً ومحدَّداً مـــا لم يبيَّن سبيلُ الوصول إليه يبقى أفكاراً وآمالاً فقط؛ أمَّـــا تحقُّقُـــه في الواقع فلابدَّ له من خطَّة توصل إليه.

وهذا هو مفترق الطريق بين الجادِّين والهازلين في الحياة.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٦) وحسنه.

الهدف عند أهل الجدّ والعزائم بمجرَّد أن يتحدَّد يتبعه التَّفكير والإعداد لكيفيَّة تحقيقه والوصول إليه، وما هو مدى البعد والقرب منه، وما هي العوائق الموجودة في الطَّريق أو التي يتوقَّع حصولُها؟ وكيف يمكن تجاوزُ هذه العوائق والتَّغَلُّب عليها؟

أمَّا أهل التَّسويف والبطالة فما أكثر الأهداف الخياليَّة عندهم؛ ولذا تراهم لا يخطون خطوةً واحدةً في سبيل تحقيقها؛ فمَن يضع له مشروعاً مثل بناء منزل خلال سنتين، فلابدَّ له من وضع خطَّة للوصول إلى هذا الهدف تشتمل على توفير المبالغ الماليَّة والبحث عن الأرض المناسبة، ووضع التَّصاميم الهندسيَّة اللَّازمة، والتعاقد مع المقاول، وشراء الاحتياجات، وتحديد جميع هذه الخطوات بالدِّقَّة والتَّفصيل.

وهذا يختلف عمَّن يريد أن يبني منزلاً سكنيًّا فقط، ثم لا يفكِّر في شيء بعد ذلك.

ومن وضع له مشروع تأليف كتاب مثلاً فلابدَّ له من تحديد موضوعه، ثم الاطِّلاع الأَوَّليّ على مصادره، ثم وضع مخطَّط له يحتوي على أبوابه وفصوله مباحثه ومسائله وأمثلته وغير ذلك.

ومن التَّخطيط للمشاريع التِّجارية عمل جدوى اقتصادية لها؛ وهي عبارة عن عملية جمع المعلومات عن مشروع مقترح، ومن ثَمَّ تحليلها لمعرفة إمكانية تنفيذه وتقليل المخاطر وربحية المشروع.

وبالتالي يجب معرفة مدى نجاح هذا المشروع أو خسارته

مقارنة بالسوق المحلي واحتياجاته.

ومن هنا يجب عمل دراسة للسوق المحلي من حيث احتياجاته ومتطلباته.

فكلٌّ مشروع من مشروعات الدُّنيا والدِّين يحتاج ليتمَّ تنفيذه إلى دراسة وتخطيط وتحديد للأهداف والوسائل، ثم يتبع ذلك توزيع للمهمَّات والأولويَّات والأدوار، وتنظيم الأعمال التي من شأنها تحويلُ الخطط والدِّراسات النَّظَرِيَّة إلى واقع وعمل.

أهل الغلو والإفراط الذين أغرقوا في التَّنظير والتَّخطيط حتى تمرَّ الأيَّام والشُّهور بل والسَّنوات وهم ما زالوا في تخطيطهم ودراساتهم.

أهل التفريط والإضاعة: الذين أهملوا الأخذ بالأسباب فأهملوا التَّخطيطَ والدِّراسة المتأنِّية التي تسبق العمل والتَّنفيذ، فقامت مشروعاتهم على الفوضى والتَّخبُّط.

١١- المرونة:

المشروع يجب أن يكون مرناً؛ أي: له حدود دنيا، وله حدود عُليا؛ وذلك كأن يخطِّطَ أحدُنا لأن يقرأ في اليوم ما بين ساعتين إلى أربع ساعات، أو يزور ثلاثة من الإخوة إلى خمسة وهكذا.

١٢- بعد إنجاز الخُطَّة، وتوفير الاحتياجات، وتحديد زمن التَّنفيذ، يكون العمل على تنفيذ الخطَّة من أجل الوصول إلى الهدف:

سيواجه الإنسان أثناءَ تقدُّمه نحو هدفه كثيراً من العقبات الـــتي قد تستدعي منه تعديلَ خططه، والنظر في أهدافه المرحليَّـــة الـــتي توصله للهدف الرَّئيسيّ.

١٣- الإصرار على إكمال المشروع: كن صلباً وقادر على مواصلة السَّير في مواجهة الصِّعاب والعقبات للوصول إلى النَّجاح، حتى وإن كنتَ تلقَّيتَ من قبل صدمةً كبيرة.

وإذا ألحَّ عليك خطبٌ لا تهن واضـــرب علـــى الإلحـــاح

روي عن شعبة بن الحجَّاج أنَّه قال: بعت طست أمي بســـبعة دنانير[١]؛ وذلك لتحقيق مشروعه في طلب الحديث.

ويروى أن معين والد يحيى بن معين المحدِّث الكبير خلَّف لابنه ألف ألف درهم (أي مليون) فأنفقه كلَّه على الحديث، حتى لم يبق له نعل يلبسه[٢].

وروي عن الحافظ محمد بن سلَّام البيكنديّ رحمه الله أنَّه قال: أنفقتُ في طلب العلم أربعين ألفاً، وأنفقت في نشره أربعين ألفا[٣].

فعليك بالاستمرار والإصرار، ولا تمنعك ضعفُ الإمكانات من البدء أو المواصلة:

واصل مســـيرتَك لا تقـــف فالعمر يمضي والسُّنون ثـــوان

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢٠/٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧٧/١١).
(٣) المرجع السابق (٦٣٠/١٠).

١٤- لإتمام المشروع فرحةٌ خاصَّةٌ:

فهذا الحافظ ابن حجر العسقلانيّ- رحمه الله- ابتدأ في تـــأليف كتاب يشرح فيه صحيح البخاريّ، وابتدأ في الشَّرح سنة ٨١٧هـــ وانتهى منه ٨٤٢هـــ.

ولما أتمَّ الكتابَ "فتح الباري" عمل وليمةً عظيمةً يـــوم خَـــتْم الشَّرح.

قال تلميذه السَّخاويّ رحمه الله: (وكان يوماً مشهوداً لم يعهد أهلُ العصر مثله، بمحضر من العلماء والقضاة والرؤساء والفضلاء.. وقال الشُّعراء في ذلك فأكثروا، وفرق علـــيهم الـــذَّهَبَ، وكـــان المصروف في الوليمة نحو خمسمائة ديناراً) (١).

---

(١) انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٧٠٢/٢).

أسبابُ فشل المشروعات

لكي نحكم على مشروع ما بالفشل فلابدَّ من تحقيق الأسباب التَّالية أو بعض منها، وهي:

١- اليأس والاستسلام:

فأخطر ما يهدِّد نجاح المشروع سرعة اليأس والاستسلام للعقبات.

إن اليأس يساوي الانتحار، والمؤمن الحقيقي لا ييأس من رحمه الله تعالى، ولا ينكسر أمام تجارب الفشل؛ بل يأخذ منها عدَّة وذخيرة لمواصلة المسير نحو أهدافه بخبرة أعمق، وبصيرة أعظم؛ فهذا المخترع "سينجر" قضى عمره لاختراع ماكينة الخياطة قرابة عشرين سنة يفكر في قطعة لهذه المكينة.

فإيَّاك أيُّها الشَّاب أن تتخلَّى عن الأمل، وأن تستسلم للشُّعور باليأس والهزيمة.

وها هو النَّبيّ ﷺ يرشد إلى المبادرة بالعمل والنَّشاط فيه ونبذ اليأس والتَّواكل حتى آخر لحظة: «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة**- النَّخلة الصَّغيرة- **فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل**»[(١)]. وروى ابن جرير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال:

(١) رواه أحمد (١٢٥٦٩)، وصححه الألباني.

سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي: مـــا يمنعـــك أن تغرس؟

فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غداً.

فقال له عمر: أعزم عليك لتغرسها؟

فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي[1].

٢- التَّشَتُّت:

إنَّ من أسباب الفشل في حياة الإنسان العمليَّة وضياع مشاريعه العظيمة أو ضعف قيمتها العمليَّة وأثرها في حياة الناس، هو تشتُّتُ الإنسان في مشاريع عديدة ربَّما كان الواحدُ منـــها يحتـــاج إلى أن يتكاتف الكثيرون في جهودهم من أجل إنجازه، فكيف بالواحد لو أراد أن ينهضَ به بمفرده، فكيف لو شـــتت جهـــده الفـــرديّ في مشروعات عديدة.

ومشتَّت العزمـــات يقضـــي حيران لا ظفرٌ ولا إخفـــاق

ولذلك فمن العوائق التي قد تمنع إتمامَ المشـــروعات: البـــدء في أكثر من مشروع كبير في نفس الوقت، وقد يكون من أمثلة ذلك ما فعله الشيخ أحمد شاكر- رحمه الله؛ حيث عمل في أكثـــر مـــن عمل ضخم في نفس الوقت:

فشرع في تحقيق مسند الإمام أحمد، ثم شرع في تحقيق ســـنن

---

(١) كنـــز العمال (٩١٣٦).

الترمذي، ثم شرع في تحقيق صحيح ابن حبان، ثم شرع في اختصار وتحقيق تفسير ابن كثير، ثم شرع في تحقيق المحلى لابن حزم... فكانت النتيجة عدم إتمامه أيًّا منها.

٣- العجز والكسل:

فكم من مطلب عظيم حال دونه كسلُ صاحبه وعجزُه؛ ولهذا كان النَّبيُّ ﷺ يتعوَّذ بالله منهما في دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل**»[١].

وحذَّر النَّبيُّ ﷺ من الاستسلام لهذا الدَّاء العضال، وأشار إلى أنَّه من أسباب الضَّعف التي تدخل على مَن عمل شيئاً أو أراده؛ فقال: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل. فإن "لو" تفتح عمل الشيطان**»[٢].

الذل في دعة النفوس ولا أرى عزَّ المعيشة دون أن يُشقى لها

ويقول الرَّاغب الأصفهانيُّ: من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية- بل من الحيوانية- وصار من جنس الموتى[٣].

وقيل: إيَّاك والكسل والضَّجر؛ فإنَّك إن كسلت لم تؤدِّ حقًّا، وإن ضجرت لم تصبر على الحقِّ.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٣) فيض القدير (٢/٢٩٣).

إنَّ التَّواني أنكح العجــز بنتــه وساق إليها حين أنكحها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها: اتكــي فغايتكما لا شك أن تلدا الفقرا

قال آخر:

دببت للمجد والساعون قد بلغــوا جهد النفوس وألقوا دونــه الأزرا
فكابدوا المجد حتى مــل أكثــرهم وعانق المجد من أوفى ومن صــبرا
لا تحسب المجد تمرا أنــت آكلــه لن تبلغ المجد حتى تلعــق الصــبرا

والمعنى: أنَّ غيرَك سعى إلى المجد بهمَّة عالية وأنــت لخمولــك تسعى متكاسلاً وتدبُّ دبيبَ الشَّيخ الهرم؛ فكيف تنال المجدَ؟!

٤- التَّأجيل والتَّسويف:

التأجيل هو تأخير المهامّ المطلوبة إلى مواعيد أخــرى، وربمــا نسيانها إلى الأبد.

قال بعض السلف: أنذرتكم "سوف"؛ فإنها من جند إبليس.
ولا أدخر شغل اليوم عن كسل إلى غد إن يوم العاجزين غــد

إذا وضعت الهدف فلا تؤجِّل الانطلاق، وابدأ فورا، ولن تصل إلى تحقيق ما تريد طالما أنَّك تستمرُّ في التَّأجيل.
واترك منى النَّفس لا تحسبه يشبعها إنَّ المنى رأسُ أموال المفــاليس

إنها حجة العاجز الكسول الذي لا يريد أن يعمل شيئاً، فيعلِّل نفسه بفراغ الغد، وهو يعلم أنَّ لكل يوم شغله.
انتبه من رقدة الغفلة، فــالعمر واطرح سوف وحتى فهمــا داء

وتأجيل القيام بمشروعاتك يؤدِّي إلى أن يقوم بها غيرُك، ويأخذ زمامَ المبادَرة منك، وأقلّ ما في ذلك من الخسارة أن يظفر غيرُك بالأجر في أعمال الآخرة.

٥- إساءة التَّعامل مع الأوقات:

إن أخطرَ مشكلة تواجه الأمم والأفراد هي مشكلة ضياع الأوقات؛ إذ إن ذلك يعني ضياعَ الحياة، وكلٌّ فائت قد يستدرك إلا فائت الزَّمَن؛ ولذلك لابدَّ أن ندرك أنَّ الوقتَ لا يتوالد، ولا يتمدد، ولا يتوقف، ولا يرجع للوراء؛ بل للأمام دائماً، ولذا فإنَّ أولَ شروط النَّجاح في الحياة الاستفادة من الوقت، والزَّمنُ في الحقيقة لا يمكن أن يدار من قبل الإنسان؛ حتى وإن كثرت في كتاباتهم عبارة "إدارة الوقت"؛ إذ إنَّ الزمنَ يتحرَّك بقدر الله، ولكن الذي يمكن أن يدار هو استغلالنا للوقت أثناء جريانه.

وقد كثرت النُّصوص والآثارُ في التَّحذير من ضياع الأوقات؛ فضلاً عن أقوال الحكماء والعلماء وأصحاب التَّجارب في الحياة؛ قال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ**»[1].

يقول ابن عقيل الحنبليّ رحمه الله: إنِّي لا يحلُّ لي أنِّي أضيِّع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

منطرح[١].

وقال ابنُ الجوزيّ- رحمه الله: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته؛ فلا يضيِّع منه لحظةً في غير قربة، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل[٢].

٦- الفوضويَّةُ في العمل والتَّخطيط:

والمرادُ بالفوضويَّة اختلاطُ الأمور واضطراب النِّظام العامّ لحياة الإنسان وتفكيره وسلوكه وأولويَّاته؛ فالشَّخص الفوضويّ ضائع الأهداف، مهمل الأعمال، ارتجالي، لا تخطيط له، متخبِّط لا نظامَ لحياته؛ يبدأ في هذا العمل ثم يتركه، ويشرع في هذا الأمر ولا يتمّه، ويسير في هذا الطريق ثم يتجنّبه، ويأخذ في هذا المشروع ثم يملّه.

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

إنه مولعٌ بإفساد أمره من حيث لا يدري.

٧- ضعف الحافز:

سواء كان الحافزُ داخليًّا من نفس الشَّخص أو خارجياً كأن يكون من يحفزه ويحمسه باستمرار، وإنَّ انعدامَ المحفِّز يؤدِّي إلى الفتور والانقطاع في كثير من المشروعات، وحلُّ هذه القضيَّة يكون بالتَّواصي والتَّناصح.

(١) شذرات الذهب (٣٦/٤).

(٢) صيد الخاطر (٥٧).

روي عن عليّ بن عاصم حافظ العراق أنَّه قال: دفـــع إليَّ أبي مائةَ ألف درهم، وقال: اذهب؛ فلا أرى لك وجهاً إلا بمائة ألـــف حديثاً.

ففي مثل هذه المقولة حافز قويّ له للقيام بمشـــروعه، وأقـــوى حافز ابتغاء الأجر ووجه الله والدَّار الآخرة؛ قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٥].

٨- ضعفُ المتابعة والمراقبة:

وهذا ممَّا يؤدِّي إلى تأخير الشُّروع والتَّباطؤ فيه، أو إيقافه تماماً؛ لأنَّ الشَّخصَ يكون هو الحكم والخصم في المشروع.

٩- ضعف الاستشارة:

ممَّا يؤدِّي إلى نوع من الاستقلاليَّة تؤدِّي إلى جنوح وشَطَحات فكريَّة أو سلوكيَّة.

١٠- ضعف الثِّقَة بالنَّفس:

أو الشعور بالعجز وأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً؛ ممَّا يجعل فيه نوعاً من الاتِّكاليَّة على الغير وترك العمل؛ فعن ابن عباس- رضـــي الله عنهما- قال: لَمَّا توفِّي رسولُ الله ﷺ قلت لرجل من الأنصـــار: يا فلان هلمَّ فلنسأل أصحابَ النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّهم اليومَ كثيرٌ.

فقال: واعجباً لك يا ابن عبَّاس؛ أترى النَّاس يحتاجون إليـــك،

وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى.

فترك ذلك، وأقبلت على المسألة.

فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك.

فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك. فأسأله عن الحديث.

قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ، فقال: كان هذا الفتى أعقلَ منِّي[1].

١١- العجلة وعدم التَّأنِّي:

فما تكاد تخطر في باله فكرة مشروع حتى يلاحظ بعد فترة بأنَّ مشروعه غير صحيح وكان الأولى غيره.

١٢- عدم توازن الشَّخصيَّة:

مما يجعله يتذبذب كثيراً في المشروعات؛ فمرَّةً يتحمَّس لطلب العلم، ومرَّةً يشعر أنَّه مقصِّرٌ في حفظ القرآن، ثم يسمع قصة في دعوة الجاليات فيشعر بنوع من الصِّراع النَّفسيّ بتقصيره بهذا الجانب، يريد أن ينجز كل شيء فلا ينجز شيئاً.

وفرق بين هذا وبين من يريد أن يضرب بسهم في كلِّ مجال،

(١) رواه الدارمي (٥٧٠).

فهذه خطته.

١٣- عدم وجود هدف حياتيّ.

١٤- عدم الإحساس بالمسؤولية.

١٥- الإحباط الذاتي.

١٦- عدم الجدية في العمل والبذل لهذا المشروع.

١٧- التثبيط عن المشروع ممن هم حوله من إخوانه، وأهله، وبيئته.

١٨- الانشغال ببنيات الطريق فإنها تفسد المشروعات.

١٩- الاستعجال في الوصول لثمرة المشروع قبل تمامه:

وهذه علامة ضعف الصبر على المهمات، ومَن ضَعف صبرُه قَلَّ فلاحُه.

ومن قَلَّ فيما يتَّقيه اصطبارُه فقد قلَّ مما يرتجيه نصيبه

لقد غضب النبي ﷺ على من طلب النصر والتمكين قبل أوانه فقال: «**والله لَيُتمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الرَّاكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذنب على غنمه، ولكنَّكم تستعجلون**»[1].

ولهذا كان من القواعد المقرَّرة عند الفقهاء: (أن من استعجل

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٢).

الشَّيءَ قبل أَوَانه، عوقب بحرمانه).

ومستعجل الشَّيء قبـــل الأوا ن يصيب الخسار ويجني النصب

لذلك لابدَّ من الصَّبر.

أصحاب الهمم والنَّجاح في المشروعات

القيام ببعض المشروعات يحتاج إلى همَّة عالية ليتمَّ بنجاح.. وإليك بعضاً ممَّن ضربوا لنا أروع الأمثلة في ذلك:

* ذو القرنين ومشروعُ إعمار الأرض: **﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾** [الكهف: ٨٤]:

مكَّنَ اللهُ لذي القرنين وآتاه من كلِّ شيء سبباً؛ فعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إيَّاها، واستعملها على وجهها لتحقيق هدفه والوصول إلى مبتغاه؛ فبذل جهداً عظيماً وجيَّش جندَه وعدَّته وعتادَه وما يمتلك من مال وقوَّة ليواصل مسيرتَه وجهاده؛ ذلك لأنه أدرك أنَّه لابدَّ من بذل الأسباب والاجتهاد والنّصب ليصل المرء إلى مراده.

وقد سعى "ذو القرنين" لإعمار الأرض وإصلاحها وبنائها حتى بلغ حيث انتهت طاقتُه وقدرتُه، ولم يرض بمنزلة دون منزلة أحد من أهل زمانه حتى في مناصب الدُّنيا، ولم يقف عند حدٍّ؛ بل سعى في الأرض حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار بجيوشه حتى بلغ مشرقها ثم أتبع سبباً حتى بلغ بين السَّدَّين، وتملَّك تلك المناطق كلَّها حتى حكم فيها وأثَّر فيها وغدا ملجأً للمظلومين ومأمناً للخائفين.

قال القاسميُّ- رحمه الله: ومن فوائد نبأ ذي القرنين تنشيطُ الهمم لرفع العوائق، وأنَّه ما تيسرت الأسباب فلا ينبغي أن يعد

ركوب البحر ولا اجتياز القفر عذرا في الخمول والرِّضا بالدُّون؛ بل ينبغي أن ينشط ويمثل في مرارته حلاوة عقباه من الرَّاحة والهناء، كما قضى ذو القرنين عمرَه ولم يَذُق إلَّا حلاوة الظّفر ولذّة الانتصار؛ إذ لم يكن من الذين تقعدهم المصاعب عن نيل ما يبتغون(١).

* الإمام النوويّ- رحمه الله- كان يقرأ في كلِّ يوم- وليس كل أسبوع أو شهر- اثنا عشر درساً؛ درسين في كتاب "الوسيط"، والثَّالث في كتاب "المهذَّب" الذي شرحه بعد ذلك في كتابه الضَّخم "المجموع"، ودرساً في كتاب الجمع بين الصَّحيحين، ودرساً في صحيح مسلم، ودرساً في كتاب "اللُّمع" لابن جنِّيّ في النَّحو، ودرساً في كتاب "إصلاح المنطق" لابن السّكّيت في اللُّغة، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه تارةً في "اللُّمع" لأبي إسحاق، وتارةً في المنتخب للفخر الرَّازي، ودرساً في أسماء الرِّجال، ودرساً في أصول الدِّين.

قال: وكنت أعلق جميعَ ما يتعلَّق بها من شرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة، وبارك الله تعالى في وقتي.

فكان لا يضيِّع له وقتاً لا في ليل ولا في نهار إلا في اشتغال حتى في الطرق، وأنه دام على هذا ست سنين، ثم أخذ في التَّصنيف والإفادة.

---

(١) محاسن التأويل (١١/٨٧).

* جابر بن عبد الله الأنصاري- رضي الله عنهما- رحل شهراً إلى الشام في طلب حديث واحد من عبد الله بن أنيس رضي الله عنه.

* وأبو أيوب رضي الله عنه خرج إلى عقبة بن عامر رضي الله عنه بمصر يسأله عن حديث.

* سعيد بن المسيَّب- رحمه الله- قال: إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد.

* سعيد بن جبير- رحمه الله- رحل في تفسير آية واحدة من الكوفة إلى المدينة.

* ابن الدَّيلميّ عبد الله بن فيروز- رحمه الله تعالى- قال: بلغني حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- فركبت إليه الطائف أسأل عنه، وكان ابن الديلمي بفلسطين.

* الطَّبريّ وتأليفه التَّفسير والتاريخ:

قال ابن جرير الطَّبريّ- رحمه الله- لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟ قالوا: كم قدره؟

فذكر نحوه ثلاثين ألف ورقة.

فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه!

فقال: إنا لله! ماتت الهمم.

فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أن أراد أن يملي

التفسير قال لهم نحوا من ذلك، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ.

وقال: استخرت الله وسألتُه العون على ما نويتُه من تصـــنيف التَّفسير قبل أن أعمله ثلاث سنين، فأعانني[١].

* أبو التقنية في اليابان.

بعض الكفار تجد عندهم من المثابرة والعمل والجهد والمتابعـــة الشيء الكبير؛ من ذلك مثلاً أنَّ اليابان أرسلت أحد رعاياها ضمن بعثة لألمانيا ليدرس أصول الميكانيكا العلمية، وكان حلمه أن يصنع محرِّكاً.

يقول: قرأت حتى عرفت نظريات الميكانيكا كلَّهـــا؛ ولكـــنَّني ظللتُ عاجزاً أمام المحرِّك.

فاشتريت محرِّكاً إيطاليَّ الصُّنع براتبي كلِّه، وجعلتُ أنظر إليـــه كأنَّني أنظر إلى تاج من الجوهر، وقلتُ لنفسي: هذا هو سرُّ قـــوة أوروبا، إن صنعت محركا مثله غيرت تاريخ اليابان، وقلـــت: لـــو استطعت أن أفكك قطع هذا المحرك وأعيد تركيبها ثم شغلته فاشتغل كنت قد خطوت خطوة نحو سر الصناعة الأوروبية.

فأتيت برسوم المحرك التي عندي وأخذت ورقاً كـــثيراً وأدوات العمل ومضيت أعمل، فرسمت أجزاءَ المحرِّك قطعةً قطعـــةً، حـــتى فككته كلَّه ورسمته كلَّه مرتَّباً، ثم أعدت تركيبه وشغَّلتُه فاشـــتغل!

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/٢٧٤-٢٧٥).

وكاد قلبي يقف من الفرح! ثلاثة أيام عمل آكل في اليوم وجبة واحدة، ولا أنام إلا القليل.

وعلم رئيس بعثتنا فأتى بمحرك معطل وقال: اكتشف موضع الخطأ كي يعمل، فشغلته في عشرة أيام عرفت مواضع الخلل؛ كانت ثلاث من قطع المحرك بالية متآكلة، صنعت غيرها بيدي بالمطرقة والمبرد.

ثم طلب رئيس البعثة أن أصنع القطع بنفسي وأركب محركا، فالتحقت بمصانع صهر الحديد وصهر النحاس والألمونيوم بدلا من أن أعد رسالة دكتوراة كما أراد مني أساتذتي الألمان.

أصبحت عاملاً وأقف صاغراً إلى جانب عامل صهر المعادن أطيع أوامره كأنه سيد عظيم وأخدمه وقت الأكل لمدة ثماني سنوات، كنت أعمل ما بين عشر وخمس عشرة ساعة في اليوم، وبعد انتهاء يوم العمل آخذ نوبة حراسة وخلال الليل كنت أراجع قواعد كلِّ صناعة على الطبيعة.

وعلم حاكمُ اليابان "الميكادو" بأمري، وأرسل لي من ماله الخاص خمسة آلاف جنيهاً إنجليزياً ذهبا، فاشتريت بها أدوات مصنع محركات كاملة وشحنتُه بكلِّ ما ادَّخرتُه، وبمجرَّد وصولي لبلدي طلب الميكادو رؤيتي، فقلت: لن أستحق مقابلته إلا بعد أن أنشئ مصنع محركات كاملاً.

وبعد تسع سنوات حملت مع مساعدي عشرة محركات "صنع

في اليابان" إلى القصر، ودخل الميكادو وابتسم وقال: هذه أعــذب موسيقى سمعتُها في حياتي؛ صوت محركات يابانية خالصة.

فالعجب من جلد أهل الباطل في الدعوة إلى باطلهم!

قال الدكتور عبد الودود شلبي: تردَّدت كثيراً جدًّا على مركز من مراكز إعداد المبشرين في مدريد وفي فناء المبنى الواسع، وضعوا لوحةً كبيرةً كتبوا عليها: أيها المبشر الشاب نحن لا نعدك بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش وثير؛ إننا ننذرك بأنك لن تجد في عملــك التَّبشيري إلا التَّعب والمرض، كل ما نقدمه إليك هو العلم والخبــز وفراش خشن في كوخ صغير، أجرك كله ســتجده عنــد الله إذا أدركك الموت وأنت في طريق المسيح كنت من السعداء.

هذه الكلمات حركت كثيراً من حملة الشــهادات في الطــب والجراحة والصيدلة وغيرها من التخصصات للذهاب إلى الصحاري القاحلة التي لا توجد فيها إلا الخيام، والمستنقعات المليئــة بــالنتن والميكروبات، والمكوث هناك السنين الطوال دون راتــب، ودون منصب، ولو أراد أحدكم العمل بمؤهله لربح مئــات الآلاف مــن الدولارات، ولكنه ضحى بكل ذلك لأجل الباطل الــذي يعتقــد صحته.

فيا عجبا كل العجب، عجبا يميت القلب من تجمُّع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرُّقكم عن حقِّكم.

الخاتمـــة

فإنَّ السَّيرَ بلا هدف إهدارٌ للحياة، وتضييع للعمر، والإنسان إذا لم يكن يعرف أين سيتجه فلن يصـــل، ويعـــيش في عشـــوائية وتخبُّط؛ لذلك لابد أن يكون لكل مسلم مشروع أو أكثر في هـــذه الحياة، ونسأل الله أن يكون هذا الكتيب حافزا لنا علـــى تنظـــيم أهدافنا ومشاريعنا.

اللهم وفقنا للخير ودلنا عليه، وباعد بيننا وبين الشر يـــا رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد صالح المنجد

المحتويات